صادقت فارا . ولم تكن عيناى قد وقعتا من قبل على الفئران . وقد لقنتنى هذه الصداقة درسا محزنا فى الحب والوفاء .

كنت احيانا آخذ معى الى الفراش كسرة من الخبز احتفظ بها تحت الوسادة ثم امضغها وانا اقرا القصص الخيالى. وكانت والدتى قد نهتنى عن هذا الفعل. ولكنى كنت اعلم انها على اية حال كانت تتوقع منى ذلك ، وان اهتمامها الوحيد للأمر لايتعدى الاحتفاظ بضميرها وما فيه نقيا ، ولهذا السبب لم اكن ابالى بالنصيحة .

وسرعان ماتبينت ان الفأر يقرض كسرة الخبز عندما اكون نائما . رايته يفعل ذلك فى صباح احد الايام . ومن حسن الحظ ، لم يكن قد اتسع الوقت لوالدتى لكى تعلمنى الخوف من الفئران. وتمنيت ان يظل معى حتى استطيع ان اقتنيه كحيوان اليف . ودعوت الله فى حماس أن يبعد عنه الانظار حتى لاينصب له الشرك.

غير أن والدى دلف فى ذات ليلة الى حجرتى وشاهده وقال عندما ومض خط اشهب يعبر الحجرة « هيه ؟ ماهذا ؟»

فقلت فى سذاجة « ماذا ؟ »

ـــ ماهذا الذى شاهدته الآن يبدو ثم يختفى ؟

ـــ انا ... انا لم اشاهد شيئا . لقد وعدت ان تصلح لى حذاء الانزلاق ؟

وعبس والدى وجلس على الفراش فى بطء.ولم تمض لحظة حتى هب واقفا وفى عينيه وميض من الشر. واستطعت أن ادرك انه لم يعد ذلك الرجل الطيب الشفوق الموسيقى القلب .

انه الآن صياد شرس . لقد عرف مدخل الفأر . كان ثقبا صغيرا على مقربة من احد الاركان .

وصاح كالوحش « اوهوه »

فقلت متسائلا ـــ هل هناك شيء

فقال والدى متعجبا « آها »

ثم ركع ونظر داخل الثقب .

ودعوت الله فى صمت « يالهى . لاتدعه يقتل الفأر . العدل عدل . لقد استذكرت مرتين اشعار الانجيل المطلوب

منى ان احفظهما . ولابد انك ياالهى قد علمت ذلك . ووالدى هو والدى . وانى احبه وابجله . ولكنك تعرف ياالهى كما اعرف ان الفأر صديقى . »

وكانت هـذه هى المرة الاولى التى ابتهل فيها الى الله ان يحقق لى طلبا . ولم اكن واثقا تمام الثقـة من حسـن دعائى .

وحاولت ان اشغل والدى بالحديث فسألته فى حماسة أحزر ما تعلمت فى المدرسة اليوم ؟

فأجـاب والدى دون ان يلتفت الى قائلا « تعلمت القليل بلا شك . وهـذا القليل اكثر ضررا من » .

وحاولت كثيرا ان افكر فى موضوع آخر اتحدث عنه عندما قفز والدى وقد امسك بأنفه وهو يصيح .

ويبدو ان الفأر خـدش انف والدى الطويل . ولم أتمالك من الضحك وقلت « انك لتغضب أيضا لو ان أحدهم دس انفه فى بيتك » .

وحك والدى أنفه وعاد الى الفراش مرتبكا . ثم اخذ يصلح حذائى الخـاص بالانزلاق . وتنهدت فى سـعادة وقد حسبت انه تخلى عن صيده الوحشي .

ربما تخلى عن ذلك . غير ان الفأر لم يتخل عن والدى . ياله من فأر احمق!

فعندماضطجع والدى على الفراش، خرج الفأر . ولم يتهاد خارجا فحسب، بل وقف على قدمين ونظر الى والدى فى عينيـه هدوء ، وكأنه يقـول له «استمع الى . لم اقصد ان اجرح انفك. انه حادث عارض انا والولد صديقان. وليس من السهل أن نعثر فى هذا العالم على صـديق بمعنى الكلمة . انه شيء صعب بالنسبة الى ولد صغير ، وشيء مستحيل بالنسبة الى فأر . الا تستطيع ان تنتهى من هـذا النزاع بطريقـة شريفة ؟ »

وللأسف ، لم يفهم والدى المسكين ، وهو الذى كان يفهم الكثير من الاشياء الجميلة ، ماالذى يعنيه الفأر . ولم ير فيه الا حيوانا متوحشا . ولذلك اسرع نحوه . وكان الفأر الذى بدا وكأنه يعرف شيئا عن الطبيعة البشرية ذكيا حتى انه ولى الادبار مختفيا عن الانظار .

وفى اليوم التالى كانت هناك مصيدة منصوبة بها قطعة من الجبن . وسرقت قطعت الجبن باسم صداقتى للفأر . لم اكن استطيع أن افعل شـيئا سـوى ذلك .

وفى اليوم الذى يليه قـال والدى عندما لاحظ انه ليس هناك جبن ولا فأر، وهو يشير فى عجب « آهاه ! ما أعجبه من فأر ! ايه ؟ انه يأكل الجبن ، ومع ذلك يتخطى المصيدة ! »

واشـحت بعينى وحاولت الا ابدو على قدر ما استطيعفى هيئة ملاك تبدو صورته علىشاشة سينما المدرسة يوم الاحد وقلت له :

« مثل هذا الشيء ممكن حدوثه — من فأر ماهر جدا »

ونظر والدى فى عينى وقال فى حزم « هذا غير ممكن . ولكن ماهـو أكثر احتمالا ان يبعد صبى ذو رأس أجوف الجبن من المصيدة .

فسألته قائلا : ومن هو هذا الصبى الذى يمكنه أن يفعل ذلك ؟ »

فأجاب قائلا « ستعثر عليه فى المرآة » .

ثم نهانى عن لمس الجبن.ولم يسعنى الا ان اطيعه .

ومرة اخرى ابتهلت الى الله من اجل الفأر قائلا « ياالهى العزيز . لقد انقذت الفأر مرة . وما أستطيع فعله بالطبع تستطيع فعله . فاذا ازداد الامر سوءا ارجو أن تبعد الفأر عن اغراء الجبن . لاتجعله ينقاد وراء هذا . الاغراء بل خلصه من شر المصيدة.

ومع ذلك ، انتظرت والرعب يدب فى قلبى ، نهاية صديقى المحتومة .

وفاتحت والدتى فى الامر قائلا « اذا كان لكصديق تحققت من مدى اخلاصه، الا تقفين بجانبه عندما يرغب الآخرون فى ايذائه ؟

وكانت أمى تحيك ثقبا كبيرا بأحد جوارب والدى عندما أجابت قائلة « بكل تأكيد » .

فصحت فى انتصار « آهاه ! اذا لماذا لا بد من الامساك بالفأر ؟»

وفتحت أمى عينيها الواسعتين وهبت واقفة ، وقالت فى عصبية « فأر ؟ اى فأر ؟ اين هو هذا الفأر ؟ .

واحتسي والدى قدحه من النبيذ ، ووضع جريدته جانبا ، وثم نظر الى « وعلى شفتيه ابتسامة رزينة . واستطعت أن أرى انى ارتكبت غلطة لاتغتفر . لقد كانت أمى تخاف الفئران.

وقال والدى فى هدوء « لدى الصبى فأر فى حجرته . وهو يدعى أنهما صديقان . ولو أن الفأر لم يقل شيئا عن ذلك »

فصاحت والدتى قائلة « انصب المصيدة ! انصب المصيدة ! »

فشرح لها والدى فى صبر قائلا « لقد نصبت المصيدة . ولكن الفأر نزع الجبن دون أن — يتخطى المصيدة»

فقالت والدتى « هذا مستحيل » ثم التفتت الى قائلة « انهاك عن ازاحة الجبن . افاهم انت ؟ »

فوعدتها فى حزن قائلا « لن ازيح الجبن . ولكن الجبان هو ذلك الذى يقف هائبا وهو يشاهد أعز أصدقائه يقتل بخدعة دنيئة »

ودهش والدى وقد ارتبك بعض الشيء وقال « أصغ الى يافتى !) »

فجادلته قائلا « لقد قالت امىبنفسها ان هذه الامور التى لا يأتيها المرء » .

فقاطعتنى والدتى قائلة « الفأر شيء مختلف »

فقلت « الصديق هو الصديق » فان اردتما ان تحاربا صديقى ، فعلى الاقل يمكنكما أن تحارباه بطريقة عادلة — وليس بالمصائد »

فصاح أبى قائلا « هوه ! ياالله السموات اتريد أن أصنع لنفسي ذيلا وان أمشي على يدى وركبتى ، ثم أعض الفأر بأسنانى ؟ »

وصعد أبى ونصب مصيدة ذات قطعة كبيرة جذابة من الجبن غير عادية وتنهدت . واستطعت ان ادرك انه ليست ثمة فائدة ، وانه ليس للفأر من منقذ الآن سوى الله الكريم .

وعندما استيقظت فى الصباح كانت قطعة الجبن لاتزال هناك . فقفزت من

الفراش . وركعت . ودعوت الله قائلا « شكرا ياالهى » ثم ارتديت ملابسي ونزلت وانا اقفز فى طـريقى لتناول طعام الفطور ، وكنت ادندن فى بهجة.

واكلت البليلة وانا فى منتهى السعادة. وما كدت انتهى منها حتى صدر صـوت يجرى فوقنا .

فسأل والدى « هل يمكن أن يكون الفأر ؟ »

وامسكت انفاسي ودعـوت الله مرة اخرى . كانت والدتى مشـغولة فى عمل خبز مقدد . ولم تفه بكلمة . وبعد لحظات حدث الجرى مرة اخرى .وفى هذه المرة بدا كأنه قريب جدا .

وسأل والدى فى دهشـة « هل يعرف الفأر حتى طريق النزول ؟ »

فلم اجبه . وشغلت نفسي فى وضع المربى على قطعة الخبز المقدد وما كدت انتهى من مضغها حتى شـعرت كأن شـيئا رخوا قد لمسنى فى قدمى . فنظرت الى اسفل . كان الفأر هناك ، يترنح ، ويتمايل ، ويجر نفسـه جرا للوصول الى قدمى .

وعندما شاهد والدى صديقى هب واقفا فى سرعة . ولم اكن أعرف ما الذى ينوى أن يفعله لعله كـان يريد حماية والدتى . ولم يكن هذا بالشيء المهم . ففى بضع ثوان تدحرج الفأر فوق قدمى ميتا . غـير أنه لم يمت قبل أن يقول لى بعينيه شيئا .

وصعد والدى الى فوق ، ثم عاد يقول فى حماسه ودهشة « عجبـا ! قطعة الجبن قد رفعت من المصيدة . ويبدو أن المصيدة قد تحركت وضربت الفأر فى فكه . تخيلوا ذلك . فأر يموت من ضربة قاضية على فكه » .

ولم يؤثر وجه العجب فى . لقـد كنت أعرف أن الفأر كان شـجاعا . ولكنى كنت أجهل الكثير عن نفسي ،فقد تراءى لى ان الفأر كـان يقـول لى بعينيه :

« اسمع كنت صديقك ، وقد قتلتنى. ولكن اليك وجه العجب . انى لازلت صديقك . وقد اتيت لأموت تحت قدميك، ولأسامحك . من السهل أن تحب أولئك الذين يشفقون عليك ، ومن الفظاعـة ولكن من الضرورى ، أن تحـب اولئك الذين يغدرون بك »

آه ، لعل الفأر لم يكن يعنى شـيئا من هذا القبيل . ربما كان قلبى هو الذى يتحدث ، ويتعلم ، ويشب .

وسألت والدى فى سرعة « ابى هل هناك جنة للفأر » ؟

فقال والدى فى اسي « اجل . اجل هناك جنة لكل واحد . »

واخذت والدتى ، وكانت شـاحبة « بعد هذا . لنستحضر قطا كبيرا حتى صامتة فى اثناء المأساة ، تتكلم فى رقة يمكن أن نبتعـد عن مثـل هـذه الامور . »